حـــوار؛

دومينيـــك فينـــر

صدمـــة التـــاريخ
الديـــن والذاكـــرة والتاريـــخ

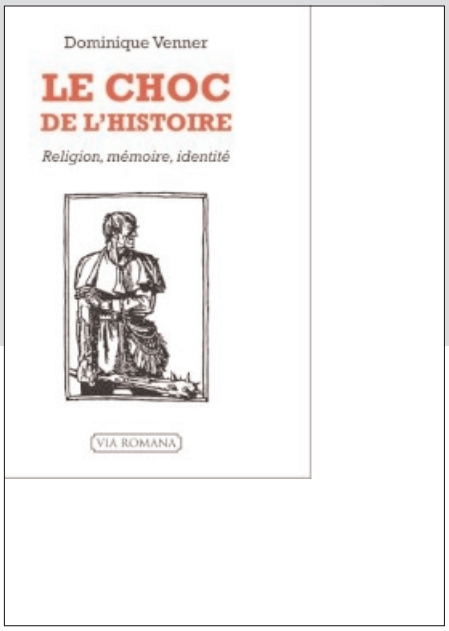

حاوره: لور ديستري

ترجمة: محمد قماري

في كتابه الجديد يؤكد دومينيك فينر، بأن العالم قد دخل حقبة غير مسبوقة، لقد حان الوقت الذي يتوجب فيه على الأوربيين أن يواجهوا تحديات قاتلة، فما شروط المواجهة؟

○ يطلع على القراء، يوم 15 سبتمبر كتابكم الجديد: "صدمة التاريخ"، الذي تولت نشره منشورات فيا رومانا (Via Romana)، ما سر اختياركم لهذا العنوان، وماذا يقدم؟

■ صدمه التاريخ نحن نعيشها دون أن نفهمها، وهو ما يحدث في الغالب على هذا النحو، فلا ننتبه إلا بعد مضي الوقت لوقع التغيرات، فلقد وقعت صدمات تاريخية في عصور سبقت عصرنا الحاضر، وواجهت تحديات كبرى، كالحروب (médiques) عند الهيلينيين.

وفي القرون المعاصرة والحديثة، أحدثت صدمات كبرى مدوية ردات فعل طبعت تطور الأفكار. ميكيافلي، مثلا، ولد إذا صحَّ التعبير، بوجود اضطرابات فلورانس وايطاليا نهاية القرن الخامس عشر، ومونتانيه (Montaigne) ففي حروب الأديان، وهوبس (Hobbes) مع الثورة الأولى في إنجلترا، وكارل شميث (Carl Schmitt) بانهيار ألمانيا عقب معاهدة فرساي[2]، وصومائيل هنتغتون (Samuel Huntington) من العالم الجديد الذي أعقب الحرب الباردة.

○ ما مظاهر الصدمة التاريخية الجديدة في واقعنا المعاصر؟

■ عندما تنحل معتقدات قديمة وتزول، فذلك علامة على تحوَّل تاريخي، سأقدم مثالا، ضربه الكاتب جون رسبيل (Jean Raspail)، فهو مع ما لديه من حدس وتنبؤ قد بيَّن أحد أشكال القطيعة الراهنة. فخلال إجابته عن أسئلة أحد الصحافيين عن النجاح الذي حققته الطبعة الجديدة من روايته معسكر القديسين (Camp des Saints)، قال: بأنَّ صد زحف المهاجرين، يقتضي الصرامة، لكن ذلك، كما أضاف، مستحيل، لماذا؟ "لأن رحمة المسيحية ترفضه، وكأنَّ الرحمة المسيحية بمعنى آخر تسوقنا إلى الكارثة!"[3] . والذي يقول هذا الكلام كاثوليكي، لكنه تنبه فجأة إلى أن استمرارية بقائنا تقتضي منَّا أن نتخلص من جملة مهمة من ثقافتنا المسيحية التي تطبع اللاشعور فينا وتطبع سلوكياتنا. وبهذا القبيل من التجديد يمكننا قياس التحوَّل التاريخي.

○ هل يمكنكم تفصيل هذا التحوَّل؟

■ منذ تراجع أوربا المريع الذي أعقب الحرب العالمية الثانية، وأؤكد عن المريع، ومنذ غياب السيادة الوطنية، واجه الأوربيون صدمة التاريخ والتي تتطلب إجابات جديدة، نعرف مثلا، أن الهيمنة الأمريكية قد جلبت معها عولمة الاقتصاد لصالح ''قروش'' المال على حساب الشعوب، يضاف إلى هذا الوباء الآثار غير المحسوبة للهجرة (الغزو) نحو أوربا. ويجب أيضا أن نضع في الحسبان نهوض القوى القديمة التي ظننا أنها قد ماتت، مما يحوِّل وجه العالم ليس من الناحية الجيو- إستراتجية فقط.

○ عند حديثكم عن أوربا والأوربيين، ماذاتقصدون؟ الاتحاد الأوربي؟

■ بكل تأكيد لا، فأنا لا أقصد أيا من المؤسسات السياسية، لكن أقصد حضارتنا التي تمتد إلى آلاف السنين، لهويتنا، لبعض طرائقنا ''الأوربية'' في التفكير والإحساس التي تعبر الأزمان.

○ يلاحظ أن استعمالنا لكلمة الحضارة مقابل الدولة البدائية أو البربرية، ولكنكم تستعملون الكلمة بمعنى آخر؟

■ اليوم، كلمة حضارة هي مرادف للهوية وللديمومة، لقد أعطى المؤرخ فرديناند بروديل Fernand Braudel لهذا المفهوم تعريفا نستطيع أن نذكره: ''الحضارة هي استمرار، وحتى عندما يتغير ولو بصورة عميقة تحت تأثير دين جديد، فإنه يتلبس قِيَّمًا قديمة تغلغلت خلال تلك الحضارة، وتبقى هي مكوِّنها''(4). وكل كلمة في هذا التعريف لها وزنها، فاستمرار القيم الأصيلة الضاربة في القدم، هو عربون استمرارهم في حاضرهم.

○كتب الباحث في الإسلاميات رينه مارشند *René Marchand* أنَّ الحضارات الكبرى ليست مناطق على كوكب، لكنها كواكب مختلفة، هل توافقون هذا التصوير؟

■ يبدو لي أنه تعبير موفق جدا، تماما بالنسبة لحضارة الأوربيين، والحضارات الصينية، والهندية، والحضارة السامية والاسلامية في

المشرق، وحضارة هنود أمريكا، كلها ذات أصول ضاربة في القدم، وأحيانا تمتد إلى ما قبل التاريخ. وهي ترتكز على تقاليد خاصة تعبر الأزمنة في صور متغيرة، تتكون من قيم روحية تبني السلوكيات وتغذي التصورات. فعلى سبيل المثال، إذا كان النشاط الجنسي ببساطة ظاهرة كونية كفعل الغذاء، فإنَّ العلاقة بين الجنسين مختلفة باختلاف الحضارات، كاختلاف التصور حول قضية الأنثى، وفن الطبخ والعمارة والموسيقى، هذه الملامح هي انعكاس لبعض مناحي البنية الروحية، التي تنتقل بالوراثة الكامنة (atavisme) أكثر من انتقالها بالاكتساب.

نحن ندرك أن تأثير الديانات الجديدة، يمكن أن يغيِّر التصورات والسلوكيات، لكن الوراثة الكامنة عند الشعوب يمكنها أن تحوِّل أيضا الأديان الوافدة، فمثلا نجد أن البوذية في اليابان أصبحت ذات محتوى حديدي غير موجود في الصين، ونستطيع أن نقول أن لكل شعب آلهته الخاصة به النابعة من واقعه، والتي تستمر في الحياة حتى عندما نظن أنها نسيت، إنها هي التي تجعلنا (الآلهة) على ما نحن عليه، لا يضاهيها في ذلك شيء.

إنها هي، مصدر تقاليدنا الخالدة، توحد رؤانا في تصور كيف نكون رجالا وكيف نكون نساء، في مواجهة: الحياة والموت، والحب والتاريخ والقدر، ودون استشعار هذه التقاليد، فإننا سنغدو هباء منثورا، ونزول بانهيارنا الداخلي ونذوب في دنيا يحكم أمرها غيرنا.

○ لقد تحدثتم عن "بنية روحية، تنتقل بالوراثة الكامنة (atavisme) أكثر من انتقالها بالاكتساب"، بمَ تفسرون أن الأمريكيين من أصل أوربي قد قطعوا صلتهم بالتقليد الأوربي ليؤسسوا عالما جديدا يقابله؟

■ إنَّ تفكيري ليذهب لملاحظة مهمة جاءت من المختص الجيوسياسي النمساوي جوردي فون لهوسن (5) Jordis Von Lohaussen فلقد سجل أنَّ ألمان نزحوا إلى بعض مناحي القارة الأوربية، في روسيا مثلا، بقوا

باستمرار ألمانيين حتى بعد قرون من هجرتهم، على عكس ذلك، فإنَ جيلا واحدا يكفي ليزول الشعور بالانتماء الألماني عند مهاجرين ألمان إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ويصبحون أمريكيين كبقية الآخرين. إن هذا يطرح إشكالا صعبا لا يمكن الإجابة عنه في جملتين، وهذا السؤال يُظهر أن الأمر لا يتعلق فقط بأصل ''الجنس''، كما قد يتبادر للذهن. فالأمريكان وقد جاؤوا من أوربا قد احتفظوا بخواصهم ''الحيوانية'' لأصولهم: الطاقة، العزيمة الصلبة أو المقاتلة، وروح الإبداع..لكن ''تصوراتهم'' تغيرت بسبب حلولهم في العالم الجديد، وهذا راجع دون ريب للإمتثالية conformisme القاهرة للمجتمع الأمريكي، التي أجاد توكفيل وصفها.

المؤكد أنَّ تنقية العقول يعود أيضا، لرسوخ الحلم الإنجيلي عند مؤسسي أمريكا، الذين نقلوا قناعتهم بأن يكونوا ''الشعب المختار'' الجديد المكلف بأنْ يمد العالم أجمع ''روح الرأسمالية''، كما ورد في عبارة ماكس ويبر (Max Weber 6)، ولا ننسى أن الورد اليومي للإنجيل إجباري في المدارس الأمريكية، تماما كالقسم على العلم ذي النجوم. ومع مرور الوقت أصبح ''التصور'' الديني للمؤسسين هو تصور غالبية المهاجرين، وهذا الدين السياسي يقضي بالقطيعة مع كل التقليد الأوربي الارستقراطي المأساوي.

○ وماذا عن بقية العالم؟

■ هنالك، الأمور تسير على شاكلة لا تدور يخلد الأمريكيين إلا قليلا، ليس أكثر من الأوربيين على كل حال، ولفهم هذه الحقيقة، ذكرت في كتابي شهادات مستوحاة من التجربة الفرنسية، منها على سبيل المثال تلك التي جاءت من دليل بوبكر، عميد مسجد باريس، الرئيس السابق للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، فالإسلام كما أوضح: هو''في الوقت ذاته دين وأمة، شريعة وحضارة.[i] ليس المسلمون هم من يطبق قواعد الإسلام الخمس وحسب، ولكن كل من ينتمي لفضاء هذه الهوية''(4). والكلمة الهامة هنا، هي كلمة هوية، فهذا يعني أن الإسلام ليس دينا وحسب، ولكنه أيضا أمر آخر إضافة لكوته دينا هو: ''أمة وشريعة

وحضارة".

وهذا يفاجئ من يكون متشبعا بالثقافة المسيحية، ببعدها العالمي والفردي، على الرغم من أن ديانات أخرى، منها الإسلام كما ذكرت، أو اليهودية، وأيضا الهندوكية أو الكنفوشية، ليست ديانات وفقط، بالمعنى المسيحي أو اللائكي للكلمة، بمعنى أنها علاقة فردية بين العبد وربه، ولكنها هويات وشرائع وأمم.

○ هذا التصور الجديد للهوية، هل يساعد الأوربيين على إعادة بناء أنفسهم؟

■ نعم، اعتقد أنه يساعدهم في إعادة إيجاد أواصر هويتهم القوية، بدلا من دين فردي أو غائب.

○ أية أواصر؟

■ أولا يجب إيقاظ أواصر ذاكرة الهوية، أواصر قادرة على تسليحهم معنويا في مواجهة تهديد واضح جلي باندثارهم إلى الذوبان في هذا الخليط الكوني وظاهرة "البرزلة" brasilisation. فيكونوا كالآخرين الذين يعرفون بأبناء شيفا Shiva، أو أبناء محمد، أو إبراهيم أو بوذا، فليس قليلا أن نعرف بأبناء وبنات هومير Homère، إلييس Ulysse و بنيلوب Pénélope.

○ كتبتم سنة *2008* في افتتاحية مجلة التاريخ الجديدة *"La Nouvelle Revue d'histoire"*، سفهتم القاعدة الشهيرة لموراس *Maurras*، "السياسة أولا"، وكتبتم أنه أمام التحولات الكبرى للمشهد والتي تفرضها الصدمة التاريخية، يجب أن يكون حديثنا مستقبلا، "الأمور الجوهرية أولا، والسياسة بعد ذلك"، فما دلالة ذلك؟

■ دلالة ذلك، أنَّ الشروط القديمة للعمل السياسي، كما كانت في أوربا وحتى الحرب العالمية الثانية قد انهارت وبفعل الأوربيين أنفسهم، بسبب

رعونتهم، دون احتساب المؤسسات السَّامة للقوى المهيمنة الجديدة، بداية بالولايات المتحدة الأمريكية. فمهما تكن من أحقيَّة للعمل السياسي، فليس بقادر أن يعيد للأوربيين الوعي القوي بما هم عليه. هذا الوعي الشامل بالهوية، بما في ذلك السياسة، هو من شأن المعاني الجوهرية أو العقيدية. بمعنى آخر لا يكتب لأي عمل سياسي النجاح دون أن يسبقه عقيدة الانتماء يمكنها أن تهديه في سيره. هذه الأفكار هي في صلب تفكيري من ومن بعيد، ورسمت خطوطها الرئيسة في الكتاب الذي نتحدث عنه.

○ الصدمة التاريخية تعود لقضايا تدرسونها منذ أمد بعيد، فما الذي جاء به كتابكم الجديد؟

■ هذا الكتاب عبارة عن تلخيص، أصيل وعملي لحوارات أدارها بولين لوكمت (Pauline Lecomte 7)، فالشعور بالتقلبات التاريخية هي في صلب أعمالي وأفكاري بصفتي مؤرخا منذ زمن بعيد، وتتضمن العلاقات بين الدين والهوية، استمرار وانبعاث الحضارات، بوصفها هي ذاتها كتعبير خاص عن هوية الشعوب على امتداد الزمن. ومن هنا نجد أن أوربا، عبر تاريخها الطويل، وحتى قبل أن تعرف باسمها هذا، قد وجدت إجابات عديدة، تتغذى من تقليد يمتد مصدره في أشعار هوميروس، تعبير هو أيضا إرث هندي أوربي من آلاف السنين.

المراجع

1. دومينيك فينر، صدمة التاريخ Le Choc de l?histoire، Editions Via Romana.

2. كارل شميث تفطن مبكرا للحقيقة الجديدة من زوال السيادة الوطنية، وانتهاء مفعول الميثاق الأوربي القديم في إنهاء الحروب بين الدول، والذي عوضه الحق الأمريكي في الحرب غير المحدودة وتجريم العدو. لقد ينى هذه الفكرة منذ سنة 1932 في دراسته مفهوم السياسة (Der Begriff des Politischen).

3. حوار نشر في L?Action française 2000 بتاريخ 19 ماي 2011 ص. 16.

4. فرديناند برودیل، كتابات تاريخية Écrits sur l?histoire، نشر باريس 1969 منشورات. Flammarion

5. جوردي فون لهوسن Jordis von Lohausen، امبراطوريات القوة Les empires et la puissance نشر باريس. 1985.

6. ماكس ويبر، أخلاقيات البروتستانت والفكر الرأسمالي L?éthique protestante et l?esprit du capitalisme نشر. 1920.

7. حوار نشرته لفيغارو يوم السبت 29 جوان. 2002.

8. بولين لوكمت، Le paradoxe vendéen, Paris, Albin Michel, 2004

المقال الأصلي:

« Le Choc de l'Histoire. Religion, mémoire, identité » Entretien avec Dominique Venner,.

Propos recueillis par Laure d'Estrée Correspondance Polémia ? 14/09/2011

أخبار علمية:

إنسان آلي يبحث عن الحياة.. على المريخ

أطلقت وكالة الفضاء الاميركية (ناسا) السبت 26 نوفمبر 2011 ، باتجاه المريخ الإنسان الآلي ''كوريوزيتي'' Curiosity وهو الروبوت الأكثر تطورا بين المسبارات التي أرسلت لاستكشاف كواكب أخرى وهو بإمكانه أن يحدد للمرة الأولى ما إذا كانت بيئة الكوكب الأحمر مواتية في الماضي لتطور الحياة على سطحه.

الروبوت ''كوريوزيتي'' المعروف أيضا باسم ''مارس ساينس لابوراتوري'' Mars Science Laboratory (ام اس ال) يتوقع ان يحط على سطح المريخ في أوت 2012 بعد رحلة يقطع فيها مسافة 570 مليون كيلومتر. وقالت كولين هارتمان المديرة المساعدة للمهمات العلمية في الناسا ''انه روبوت استثنائي فعلا تتجاوز قدرته بكثير كل ما أطلقناه حتى الآن باتجاه كوكب أخر من النظام الشمسي''.

ومن المقرر إطلاق الروبوت من مركز كاب كانافيرال في فلوريدا (جنوب شرق الولايات المتحدة) عند الساعة15,02 بتوقيت غرينتش السبت بواسطة صاروخ ''أطلس "5.

Un robot à la recherche de la vie sur Mars

Revue : la recherche http://www.larecherche.fr/content/actualite-astres/article?id=30892

الجنين يحس بالألم في بطن أمه

وجدت دراسة بريطانية جديدة أن الأجنة تستطيع التمييز بين المحفزات المؤلمة واللمسة العادية منذ الأسبوع ال 35 من الحمل. وذكر موقع -ساينس ديلي- العلمي الأمريكي أن الباحثين بجامعة يونيفرستي كولدج لندن؟ وجدوا أن النشاط العصبي للدماغ يتغيّر تدريجياً من مرحلة عدم النضج إلى مرحلة مشابهة أكثر لحالة الرشد منذ الأسبوع ال 35 من الحمل، ما قد يشير إلى أن الدوائر العصبية تمكّن الأجنة من معالجة الألم كشعور منفصل عن اللمس.

نظر الباحثون في النشاط الدماغي لـ 46 مولوداً بمستشفى "يونيفرستي كولدج" الجامعي بينهم 21 مولوداً خدّجاً، ما أعطى العلماء فرصة قياس النشاط الدماغي بمختلف مراحل نمو الدماغ البشري، من فترة 28 أسبوعاً من الحمل إلى 37 أسبوعاً.

وقاس الباحثون النشاط الدماغي الكهربائي للمواليد لدى أخذ عينات دموية منهم، فسجّل ردة فعل على شكل "انفجارات عصبية" عامة للنشاط الكهربائي الدماغي.

وبعد الأسبوع 35 تغيّرت ردة الفعل بأدمغة المواليد إلى نشاط موضع بمناطق دماغية محددة، ما يشير إلى انهم باتوا يميّزون التحفيز المؤلم عن اللمس العادي.

وفي بحث طبي أمريكي مماثل وجد أن الجنين في بطن أمه لا يشعر بالألم إلا في الأسابيع الأخيرة من الحمل.

وجاء هذا البحث الذي نشرت نتائجه في "مجلة الرابطة الطبية الأمريكية" بناء على تشريع اتحادي مقترح في الولايات المتحدة. وبناء على التشريع المقترح يجب على الأطباء أن يخبروا الأمهات الراغبات في إجراء عمليات إجهاض أن الجنين يشعر بالألم اعتباراً من أسبوعه العشرين.

غير أن فريق البحث في جامعة كاليفورنيا قال إن الأجنة لا تتولد فيها حاسة الشعور بالألم إلا في مرحلة الحمل الواقعة بين الأسبوعين التاسع والعشرين والثلاثين. (مع العلم أن فترة الحمل الكاملة تدوم نحو 40 أسبوعا).

ويقول الباحثون إن المعلومات المتوفرة حاليا حول هذا الموضوع لا تزال شحيحة . ولكن الباحثين في البحث المنشور الوارد ذكره أعلاه يقولون "إن الإحساس بالألم يتطلب الإدراك الواعي بعامل حسي غير مستحب"، لا يمكن أن يحصل إلى حين نمو بعض الأنسجة التي تصل بين المِهاد البصري في المخ ولحاء المخيخ خلال فترة الجزء الثالث من فترة كامل الحمل . وعادة ما لا تظهر هذه الوصلات العصبية إلا بحلول الأسبوع الثالث والعشرين من الحمل ، وربما لا تبدأ في التشكل إلى إلا بحلول الأسبوع الثلاثين .

وقال الفريق الطبي الذي عمل برئاسة الدكتور كلارك روزين إن ردود الفعل العصبية واستجابات التوتر الهرمونية الموجودة في مرحلة مبكرة في مراحل نمو الجنين لا تعتبر دليلاً جليا أو كافيا على إدراك الألم .

وأضاف فريق البحث أنه لما كانت وظيفة إدراك الألم لا تبدأ قبل الفترة الثالثة (آخر ثلاثة أشهر) من الحمل، فإنه ليس إلزامياً إجراء مناقشات حول الآلام التي يفترض أن الجنين يحس بها أثناء الإجهاض الذي يحدث قبل نهاية الفترة الثانية (الثلاثة أشهر التالية) من الحمل . ويقول البروفيسور البريطاني تشارلز روديك إن نتائج البحث الأمريكي متناسقة مع ما هو معروف حتى الآن عن الآلام التي يشعر بها الجنين.

وقال روديك، أستاذ في طب الجنين في جامعة مستشفى كلية لندن، إن جميع عمليات الإجهاض التي تجرى في بريطانيا بعد الأسبوع الثاني والعشرين يتم خلالها إما حقن الجنين مباشرة بمادة توقف نبض قلبه، أو حقنه بتلك المادة عن طريق حقن أمه، وعليه فالجنين يكون تحت التخدير العام .

وأضاف يقول إنه كيّ يشعر الجنين بالألم يجب أن تكون المنظومة العصبية الأساسية موجودة لديه وتعمل. غير أن جوليا ميلينغون من منظمة "التحالف من أجل الحياة" البريطانية تقول، مشيرة إلى الإجهاض،

إنـهـا لـيست قـدرة الضـحـيـة عـلـى الإحساس بالألم هي ما يجعل القتل شيئاً يلقى المعارضة بل إنه انتهاك أبسط حقوق الفرد الإنسانية ألا وهو الحق في الحياة .

مـن جـهـة أخـرى، أظـهـرت دراسـة بريطانية جديدة أن الأجنة تبدأ بتحريك شفتيها وأنفها وحواجبها، وهي الحركات التي تشكل تعابير الوجه عند اجتماعها بدءا من الاسبوع الرابع والعشرين .

وذكـــر مـــوقـــع "لايـف سـايـنس" الأمـريـكي أن باحثين في جامعة درهام البريطانية وجدوا أن حركات الوجه التي تشمل تحريك الشفتين والأنف والحاجبين مثلاً تزداد وتصبح أكثر تعقيداً مع نمو الجنين لتصبح أخيراً شبيهة بتعابير الوجه التي نلحظها لدى بعضنا البعض .

وقالت الباحثة المسؤولة عن الدراسة ناديا ريسلاند "ما وجدناه لأول مرّة هو انـه بـالإمـكـان الـنـظـر في تـوالي تـعـقّـد الحركات في وجه الجنين" .

وقـد شـاهـد الـباحثون من خلال صـور الـتـقـطـت لجنـيـنين في مـراحـل نموهما من الأسبوع ال 24 وحتى 35 من الحمل، تطور حركات غير مرتبطة ببعضها إلى مجموعة حركات معقدة مرتبطة بتعابير الوجه .

وقد تـتـبـع الـعـلـمـاء بشـكـل خـاص 19 حركة في الوجه مرتبطة بتعبير البكاء والضـحك، وتـبـيّـن مـع الـوقت ان هـذه الحركات بدأت تظهر ضـمـن مجمـوعـة أكثر تعقيداً.

وظهر ان الأجنة في الأسبوع الرابع والـعـشـريـن تبدأ عـلـى الأرجح بـالـقـيام بـحـركـة واحـدة في الـوجـه مـثـل تحريك الشفة، ومع مرور الأسابيع تبدأ بدمج الحركات مثل تحريك الشفة والأنف معاً.

وقـالت ريسـلانـد إن هـذه الحركات الوجهية لا تعني ان للأجنة مشاعر، مضـيـفة "يمكـنـنـا رؤيـة الـتـعـابير الـتي نميّـزهـا، لـكـن لا يمكـنـنـا الـقـول إن كـان الجنين يشعر وليس لديهم بعد الإدراك الضـروري ليشعروا" .

ولفتت إلى أن هذه المشاعر يكتسبها الأطفال مع دخولهم العالم الاجتماعي.

Les bébés ressentent la douleur in otero

-etilautca/tnetnoc/rf.ehcrehceral.www//:ptth